تغطية فضائية القدس لموضوع الانقسام الفلسطيني الداخلي

محمد أبو الرب

في غمره الانقسام الفلسطيني الداخلي، تصاعدت الاتهامات الموجهة للإعلام الفلسطيني ودوره في التحريض وتعميق الانقسام عبر تغليب المصالح الفصائلية والحزبية على المصلحة الوطنية. وقد برزت في الفترة الأخيرة جملة من الدراسات التي تؤكد على خطورة الإعلام الفلسطيني في تعزيز حالة الانقسام[١]. ووصل الحد ببعض وسائل الإعلام إلى الترويج للقتل وبث مشاهد مباشرة لعمليات تنكيل بجثث مواطنين أحياء قبل إعدامهم، ومن ذلك تغطية فضائية الأقصى لاعتقال عناصر حماس لأحد كوادر كتائب شهداء الأقسى في غزة وهو سميح المدهون وتعذيبه ومن ثم قتله وبث الحادثة مصورة على الهواء. وزيادة على دور الإعلام الفلسطيني في تغذية الانقسام الداخلي، لعبت بعض وسائل الإعلام العربية دورا في تعزيز حالة الانقسام، على اعتبار أن تعميق وإبراز أحداث الانقسام ينطوي على نتيجة مفادها إشغال المواطن الفلسطيني عن القضية المركزية وهي الصراع مع الاحتلال لصالح التركيز على أخبار الانقسام الداخلي، ويقع ضمن الكلام السابق انتقائية التغطية في القضايا المتعلقة بالانقسام والسياق الذي توضح فيه الأحداث، إلى جانب انتقائية

١ – ينظر تقرير:" **التغطية الإعلامية لما بعد سيطرة حماس على غزة في تلفزيون فلسطين وفضائية الأقصى**".(٢٠٠٨). وحدة الرصد الإعلامي في مؤسسة مفتاح– رام الله
ينظر أيضا: بني عودة، غازي وزياد عثمان. (٢٠٠٨). **الإعلام الألعوبة والخطاب الدموي في فلسطين**. رام الله: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان.

استضافة المتحدثين باسم الفصائل الفلسطينية والذين ساهموا ولايزالون في التحريض الداخلي وتعزيز حالة الانقسام.[٢]

كما وتصبح خطورة الإعلام في الترويج للانقسام مضاعفة حينما تتقاطع مصالح بعض وسائل الإعلام العربية مع الإعلام الحزبي، وقد أشار إلى ذلك صراحة وبمنهجية علمية رصينة الدكتور وليد الشرفا في كتابه "دوائر الإقناع في خطاب حركة حماس" والذي ربط فيه بين رؤية حركة حماس للواقع الفلسطيني وانعكاس ذلك على إعلام الحركة، وكيف يتقاطع كل ذلك مع أكثر الفضائيات العربية إثارة للجدل وهي قناة الجزيرة[٣].

تختص هذه الورقة البحثية في رصد وتحليل تغطية فضائية القدس لموضوع الانقسام الفلسطيني الداخلي، وكيفية تناولها للشأن الفلسطيني، والسياقات التي تحكم عملية التغطية، إضافة إلى طبيعة المواضيع التي تتعرض لها القناة وأولوياتها في التغطية.

وفي المجمل، يلاحظ على فضائية القدس اهتمامها بالخبر الفلسطيني اليومي ومتابعة التطورات الحياتية للمواطن الفلسطيني بشكل مكثف بما ينافس فضائيات فلسطينية وعربية أخرى، ومن ذلك الافتراض بأن فضائية القدس تقدم نفسها كفضائية فلسطينية تقع في الوسط إذا ما قورنت بفضائية فلسطين أو الأقصى، وهذا هو الرأسمال الرمزي الذي تحاول القناة أن تبنيه يوما بيوم مع المشاهد الفلسطيني بالدرجة الأولى والمشاهد العربي بالدرجة الثانية.

٢- للمزيد حول دور الفضائيات العربية في تعزيز الانقسام الداخلي، ينظر: أبو الرب، محمد.(٢٠١٠). **الجزيرة وقطر: خطابات السياسية وسياسات الخطاب**. القدس: دار أبو غوش للنشر والتوزيع.

٣- ينظر . الشرفا، وليد.(٢٠١٠). **دوائر الإقناع في خطاب حماس**. رام الله: معهد العالم العربي للدراسات والبحوث المسحية" أوراد".

منهجية الدراسة

تسعى هذه الدراسة لتحليل تغطية فضائية القدس للخبر الفلسطيني المتعلق بالانقسام الداخلي، في سبيل اختبار افتراض مدى مساهمة هذه القناة في تعزيز وتغذية الانقسام الفلسطيني الداخلي أو الحد منه، وذلك من خلال تحليل طبيعة تغطيتها للحدث الفلسطيني والسياق الذي تقدم فيه الأحداث. لتحقيق الهدف السابق، تتبنى الدراسة منهجية تحليل الخطاب الإعلامي والقائمة على تحليل تقنيات التغطية الإخبارية من حجب وإبراز وتسطيح وتعميق للأحداث، جميعها وفق منهجية تحليل كيفية للسياق الذي تقدم فيه الأحداث في فضائية القدس. والقاعدة النظرية الأبرز التي تستند إليها الدراسة يمكن اختصارها بمداخلة للمفكر الفرنسي ريجيس دوبريه مفادها، أنه ليس المهم في الإعلام ماذا تقول، وإنما كيف تقول.

رصدت الدراسة تغطية فضائية القدس للحدث الفلسطيني المتعلق بالانقسام الداخلي وذلك خلال الفترة الواقعة ما بين ٥/١٥- ٢٠١٠/٥/٣٠، أي أن الدراسة تحلل تغطية قناة القدس للأحداث التي تنطوي على أبعاد ذات صلة بالانقسام الداخلي والسياق الذي قدمت فيه هذه الأحداث، أما الأخبار التي لا ترتبط بموضوع الدراسة فهي خارج دائرة البحث.

لمحة تعريفية بقناة القدس

تعرّف قناة القدس نفسها بأنها: "قناة تلفزيونية عربية تعنى بالشأن الفلسطيني .. مرخصة في لندن ولها مكاتب في قطاع غزة والضفة الغربية وبيروت ودمشق ..تملكها شركة راديو وتلفزيون القدس..وتبث باللغة العربية

على مدار ٢٤ ساعة". أما رسالتها فهي" إبراز أهمية فلسطين والقدس للأمة العربية و الإسلامية ومركزيتها.. والتأكيد على عدالة قضيتها.. وتصحيح الفهم تجاهها عربيا"ودوليا".. والعمل على حشد الجهود والطاقات لدعمها ومساعدة أهلها.. وتوثيق أخبارها ووقائعها ..ضمن سياسة تحريرية متوازنة. تلتزم بمبادئ العمل الإعلامي وأخلاقياته"[٤].

شغل منصب مدير القناة السيد نبيل العتيبي وهو أردني من أصل فلسطيني، قبل أن يجل مكانه مؤخرا مدير الأخبار السيد أحمد رمضان وهو بريطاني من أصل سوري وهو منتمٍ للإخوان المسلمين، فيما شغل الإعلامي الجزائري د. يحيى أبو زكريا منصب مسؤول البرامج السياسية في القناة قبل أن يتم إيقافه عن العمل، جراء خلافات مع إدارة القناة.

بتاريخ ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٨ بدأت قناة القدس الفضائية بالبث من بيروت، ولها مكاتب في دمشق وغزة إضافة إلى أن مقرها الرئيسي وترخيصها في لندن. تحتل البرامج الإخبارية الحصة الأكبر من برامج القناة، فهناك ٤ نشرات أخبار رئيسة و٨ مواجز إخبارية، إضافة إلى عدد من البرامج السياسية كـ«البوصلة» و"اتجاهات» و"نبض الشارع» و"حوار خاص».

استنادا إلى تصريح مدير عام القناة السابق، نبيل العتيبي، فإن القناة مملوكة من قبل شركة إذاعة وتلفزيون القدس المسجلة في لندن على اسم رجال أعمال وإعلاميين عرب وفلسطينيين، لكن الملفت للانتباه أن هذه الشركة أسست من أجل القناة ولا يعرف من هم المستثمرون الذين يقفون خلفها. بعض المصادر سواء من داخل القناة أو من خارجها تشير إلى ملكيتها من قبل حركة حماس في الخارج وتحديدا تبعيتها للمكتب

٤ – الموقع الالكتروني لفضائية القدس: http://www.qudstv.com/aboutus.aspx

السياسي لحركة حماس والسيد خالد مشعل شخصيا. وحسب الموقع الإلكتروني للقناة، فهي لا تعَرف عن نفسها بانتمائها لحركة حماس، بل بالعكس تدعي أنها قناة لكل الفلسطينيين. وفي مقابلة مع صحيفة العرب القطرية، يقول العتيبي «تلتزم قناة القدس بمنهجية «الإعلام المسؤول» وليس إعلام الإثارة، وهي في سياستها تتبنى ثوابت الشعب الفلسطيني وتجسد إرادته في التحرر والاستقلال.[٥]

تمتلك قناة القدس خطابا إعلاميا أقرب إلى أسلوب خطاب قناة الجزيرة من حيث تقنيات التغطية الإخبارية، منه من الطابع التعبوي الحزبي كالذي تروج له قناة " الأقصى"، وكذلك فإن الذكاء الإعلامي في صياغة خطاب القناة ولد التباسا لدى كثير من الصحفيين الذين لم يستطيعوا تمييز توجهات القناة، بحسب عينة عشوائية من الصحفيين الفلسطينيين استطلع الباحث آرائهم، رغم أن كثيرا من المؤشرات تدفع باتجاه افتراض تبعية قناة القدس لحركة حماس وتحديدا حماس الخارج، وهذا ما سيتم اختباره خلال الصفحات التالية بالنظر إلى انتماء القائمين على القناة وتمويلها، والأهم طبيعة تغطيتها للحدث الفلسطيني الداخلي.

أشارت دراسة إسرائيلية ترجمها ونشرها المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية في مصر والتي جاءت بعنوان "البنية التحتية الإعلامية لحركة حماس"، إلى أن قناة الأقصى تقودها حماس الداخل، فيما قناة القدس تقودها حماس الخارج، وأنهما يمثلان جزءا من البنية التحتية للإعلام الحمساوي. وخلصت الدراسة ذاتها إلى أن العدوان الإسرائيلي على غزة، واستهداف إسرائيل لفضائية الأقصى دفع حماس الخارج للتفكير بأهمية تطوير الإعلام الحمساوي، ومن ذلك فضائية تبث من الخارج وتديرها حماس الخارج[٦].

٥- صحيفة العرب القطرية بتاريخ :٩ -١١-٢٠٠٨

٦- أنظر: البنية التحية الإعلامية لحركة حماس. مركز الزيتونه للدراسات والاستشارات. مصدر إلكتروني. استرجع بتاريخ: ١٢-٦-٢٠١٠
http://www.alzaytouna.net/arabic/?c=201&a=113246

على صعيد الانتماء الحزبي للعاملين في القناة، تشير المعطيات إلى أن المتنفذين في القناة هم في غالبيتهم من المنتمين لحركة حماس وحركة الإخوان المسلمين، ومن ذلك مدير القناة السابق نبيل العتيبي، والمدير الحالي أحمد رمضان، إضافة إلى مدير مكتب فضائية القدس في غزة الصحفي عماد الإفرنجي وهو أحد الإعلاميين البارزين في قطاع غزة والمنتمي لحركة حماس، والعضو في كتلة الصحفي التابع لحركة حماس في غزة والتي تشكلت بعد الحسم العسكري الذي نفذته حماس عام ٢٠٠٦ كمحاولة لمواجهة نقابة الصحفيين في رام الله والتي تسيطر عليها فصائل منظمة التحرير.

والملاحظ أيضا قيام المواقع الالكترونية لحركة حماس بحملة ترويج واسعة للقناة قبيل صدورها. عن ذلك، كتب الدكتور أسامة الأشقر، المدير العام لمؤسسة فلسطين للثقافة وهو أحد قيادات حركة حماس مقالا بعنوان: القدس في الفضاء[٧]، قبيل انطلاق بث قناة القدس للتأكيد على دورها المستقبلي في خدمة القضية الفلسطينية والالتزام بالمشروع الوطني. كما يقدم الشيح راغب السرجاني المنتمي لحركة الإخوان المسلمين برنامج "خط الزمن" على القناة كل ثلاثاء الساعة السابعة والنصف، إضافة إلى عبد الله السعافين مقدم برنامج" لقاء خاص" و هو أحد طلبة الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت في الثمانينات، وقد عمل سابقا في قناة أبو ظبي الفضائية ثم قناة الحرة. ولم يكن مفاجئا أن تطالب الحكومة المقالة في غزة بإطلاق سراح المعتقلين من قناة القدس لدى الشرطة في رام الله في بداية عام ٢٠٠٩ وكان اعتقال طاقم قناة القدس على خلفية اتهامات له بالانحياز لحركة حماس والتشهير بالأجهزة الأمنية.

٧- أنظر: الموقع الإلكتروني لشبكة فلسطين للحوار التابع لحركة حماس، استرجع بتاريخ: ١٠-٥-٢٠١٠
http://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=315160
وأيضا: الموقع الإلكتروني لوكالة PNN http://arabic.pnn.ps/index.php?option=com_content&task=view&id=41477&Itemid=45

أما على صعيد تمويل فضائية القدس، فالقناة لا تحوي أية إعلانات على اعتبار أنها قناة غير ربحية أو غير مربحة حتى الآن، وهي مدعومة ماليا بشكل كامل، الأمر الذي يطرح تساؤلا مشروعا حول مصلحة الجهة التي تمول القناة، وكيف تخدم هذه القناة مصالح الممولين؟ أحد الإعلاميين العاملين في القناة وفي اتصال مع الباحث رفض تأكيد أو نفي تمويل حركة حماس لقناة القدس، معتبرا في الوقت ذاته أن انتماء الصحفي ليس مؤشرا كافيا على توجهات القناة رغم أنه لا يخفي صراحة أن الانتماء السياسي لبعض الصحفيين يؤثر على طريقة وكيفية تقديمهم للحدث خصوصا تلك المرتبطة بالانقسام الفلسطيني الداخلي.

تغطية فضائية القدس للشأن الفلسطيني

تركز القناة بشكل كبير على تغطية أخبار القدس والاعتداءات الإسرائيلية على المدينة ومقدساتها، كما وتخصص جملة من اللقاءات المتكررة مع رئيس الحركة الإسلامية في الداخل الشيخ رائد صلاح للحديث عن الاعتداءات الإسرائيلية، إضافة إلى تركيزها على بث تقارير وبرامج من داخل المخيمات الفلسطينية في الداخل والخارج؛ محاولة استهداف هذه الفئة من الجمهور الفلسطيني.

الشعار الرئيس الذي تتبناه القناة هو "نافذتك على فلسطين"، وهو ما يؤشر على أن القناة بشكل أساسي موجهة لفلسطيني الخارج، فهي تحاول أن تضعهم على شرفة ينظرون من خلالها إلى فلسطين وتحديدا الاعتداءات الإسرائيلية على القدس وإجراءات تهويدها، أما فيما يخص تغطيتها لقضايا الانقسام الداخلي

الفلسطيني، فمن الهام السؤال عن طبيعة الرؤية التي تقدمها هذه النافذة على فلسطين، وهو ما سيتم التوقف عنده خلال الصفحات التالية.

وسعيا من القناة لتأكيد شعارها بأنها نافذة على فلسطين، اتخذت القناة من ذكرى استشهاد الرئيس ياسر عرفات موعدا لانطلاقتها بتاريخ ٢٠٠٨/١١/١١ في إشارة إلى أنها قناة الوحدة الوطنية، لكن الفهم الآخر لاختيار التوقيت هو أنه إشارة ذكية من القناة لكسب أكبر عدد من المشاهدين، فلو اختارت القناة ذكرى استشهاد القيادي في حماس أحمد ياسين، لكانت الرسالة فهمت بشكل مختلف.

وفي سياق الحديث عن تغطية القناة للانقسام الداخلي الفلسطيني، ومن خلال عملية الرصد اليومية، تفترض الدراسة أن قناة القدس تركز على أخبار الاعتقالات السياسية واتهامات حركة حماس للأجهزة الأمنية في الضفة الغربية، فيما لا تركز القناة على الأخبار المتعلقة بالاعتقالات السياسية في قطاع غزة.

تستخدم القناة عددا من المصطلحات التي تعبر عن سياساتها العامة ومنها: استخدام اصطلاح الكيان الإسرائيلي، وليس دولة إسرائيل أو غيرها من المصطلحات، وتبرر القناة ذلك بأن ذات المصطلح هو الذي استخدمته مبادرة السلام العربية في توصيف إسرائيل[٨]. كما لا تستخدم فضائية القدس وصف الحكومة المقالة في غزة وإنما تستخدم صيغ مثل: الحكومة الفلسطينية في غزة، وزير الداخلية في حكومة غزة..ألخ، ويمثل ذلك مؤشرا على توجه القناة، بحيث أن غالبية الفضائيات تستخدم الوصف" القانوني" لحال "حكومة غزة" وهو الحكومة المقالة في غزة. كما أن أي اجتماع لنواب حركة حماس في المجلس التشريعي في غزة يصدر كخبر في الفضائية وتحت مسمى" المجلس التشريعي" يصدر بيانا أو يشرع قانونا، بالرغم من أن غالبية وسائل

٨- نظرا لنقص المعلومات والأبحاث المنشورة حول قناة القدس، لجأ الباحث إلى الحصول على بعض المعلومات حول سياسة القناة من مصدر من داخل القناة رفض نشر اسمه، ويتحفظ الباحث هنا عن كشفه؛ احتراما لرغبته.

الإعلام لا تتعامل مع هكذا اجتماعات وما يصدر عنها تحت مظلة المجلس التشريعي، وهذا أيضا مؤشر جديد على توجه القناة.

شواهد من تغطية القناة لموضوع الانقسام الداخلي

في تحليل تغطية فضائية القدس ودورها المحتمل في تعزيز الانقسام الداخلي، يصعب الحكم على التغطية الإخبارية من جانب كمي، واعتماد مقولات "سطحية" من قبيل أن القناة تنقل ما يحصل فعلا، أي أنه حينما تعتقل الأجهزة الأمنية في الضفة أحد كوادر حركة حماس، فالأخبار حينها يكون عن حدث قد حصل، ومن الصعب الترويج لمقولات من قبيل أن نشر الخبر يعني أن القناة تساهم في تعميق الانقسام الداخلي، فالكلام في هكذا سياق هو ليس أكثر من وجه نظر. والأسلوب الأنسب في عملية الرصد والتحليل في موضوع شائك وذا حساسية عالية كالانقسام الفلسطيني الداخلي هو أسلوب المقارنات، أي كيف تغطي القناة أحداثا في غزة، مقابل تغطيتها لأحداث مشابهة في الضفة، والأهم، هو السياق التي توضع فيه الأحداث في عملية التغطية الإخبارية.

من الشواهد الأولية على تغطية القناة وفقا لعملية الرصد أنها تحجب وتسطح الأخبار المتعلقة بالاعتقال السياسي في غزة في مقابل إبراز وتعميق[٩] أخبار الاعتقال السياسي في الضفة الغربية، ومن ذلك أن قناة القدس لم تغطِ خبر اعتقال الأجهزة الأمنية في الحكومة المقالة لمحافظ خانيونس" أسامة الفرا "يوم الأربعاء ١٨-٥ في ساعات المساء، ولم يذكر الخبر في أي من النشرات الإخبارية، في الوقت الذي تبرز القناة خبر

٩- تقنيات الإبراز والحجب والتسطيح والتعميق وغيرها هي من أداوت منهج تحليل الخطاب الإعلامي.
للمزيد ينظر. بورديو، بيير(٢٠٠٤). **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. ترجمة: درويش الحلوجي، ط١. دمشق: دار كنعان
وأيضا: براون، ج.ب. و ج. يول.(١٩٩٧). **تحليل الخطاب**. ترجمة وتقديم: محمد الزليطني ومنير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود.

اعتقال القيادي في حماس" محمد غزال" في نابلس وتورده على صيغة خبر عاجل، ويستمر عرض الخبر لمدة تزيد عن الدقيقة، إضافة إلى عرضه على الشريط الإخباري. وفي تطورات الخبر، فقد تدخلت كتلة المستقلين وتم الإفراج عن المعتقلين في الضفة وغزة خلال أقل من ٢٤ ساعة، لكن المفارقة أن قناة القدس تورد خبر الإفراج عن القيادي في حماس ولا ذكر لخبر اعتقال والإفراج عن محافظ خانيونس، وكأن شيئا لم يكن!!

وكما ونشرت القناة بتاريخ ٢٣-٥ الخبر التالي: "حركة حماس تتهم السلطة الفلسطينية في رام الله باعتقال ٢٠ من أنصارها" ولكن الصيغة الأخرى للخبر وهي اتهامات حركة فتح لحركة حماس بالاعتقال السياسي في غزة لا ترد إطلاقا على القناة. وبتاريخ ٢٤-٥ نشرت فضائية القدس على شريطها الإخباري أيضا الخبر التالي: "الأجهزة الأمنية في الخليل تواصل اعتقال زوج الصحفية لمى خاطر" والملاحظ أن الخبر ليس بصيغته الأولى فهو صيغ بشكل توكيدي لخبر سابق، إضافة إلى مشروعية التساؤل عن القيمة الإخبارية لخبر ينشر على فضائية يتحدث عن اعتقال الأجهزة الأمنية لزوج صحفية! والملاحظ أيضا أن صياغة أخبار الاعتقال السياسي في القناة قد اختلفت عما كانت عليه في الشهور الأولى لانطلاق القناة، وبحسب مصادر الباحث من داخل القناة، فقد كانت بعض الأخبار تكتب أحيانا بصيغة "فتح تعتقل فلانا من عناصر حماس، أو فتح تعتدي، ولكن وبعد احتجاج ومتابعة من مكاتب القناة في فلسطين كان يتم تعديل الخبر إلى صيغة: "الأجهزة الأمنية في رام الله تعتقل...".

وفي موضوع آخر متعلق بتغطية قناة القدس للخبر الفلسطيني، تتوقف الدراسة عند قضية هدم الأجهزة الأمنية التابعة الحكومة المقالة في غزة لعدد من منازل المواطنين في رفح بتاريخ ١٩-٥، في مقابل تقرير

حول إهمال رسمي في مدينة يطا في الضفة. لم تعطِ قناة القدس خبر هدم المنازل أولوية في نشراتها الإخبارية بل على العكس من ذلك جاء الخبر والتقرير في نهاية النشرة، المهم في تغطية الموضوع هو السياق الذي وضع فيه الخبر، وهو كالتالي: أن بلدية رفح قامت بهدم البيوت لأنها مقامة على أراضي حكومية، موضحة أنها هدمتها تمهيدا لبناء مدينة تعليمية عليها، المواطنون المتضررون قالوا أنهم يمتلكون عقودا رسمية تثبت ملكيتهم لتلك الأراضي".

لم يشر التقرير السابق إلى أن هنالك ما يزيد عن ٤٠٠ بيت مهدد بالهدم. وفي التقرير أيضا إشارة إلى أن الصراع حول الأراضي الحكومية لم يأت منذ عهد حماس وإنما هو ممتد على طول عمر السلطة. وبعد انتهاء التقرير تستضيف القناة رئيس سلطة الأراضي في غزة إبراهيم رضوان الذي يؤكد في اللقاء على الملكية الحكومية للأراضي، وأن السكان كانوا ضحية تجار جشعين على حد وصفه، وأن المشكلة تعود إلى خلاف مع مختار عائلة برهوم الذي باع الأراضي، ولا تسأله المذيعة عن ذنب السكان الذين اشتروا الأراضي، ورغم ادعائه برفع دعاوى قضائية على التجار الذين باعوا الأراضي، لكن لا توضيح لسبب الهدم في ظل عدم انتهاء القضية ومحاكمة المسؤولين عنها.لم تسأله المذيعة أيضا عن مصير السكان الذين هدمت بيوتهم، و أين سيقيمون بعد هدم منازلهم؟ وكيف سيعوضونهم في ظل الحصار ومنع دخول مواد البناء؟ وكذلك فإن الضيف وفي بداية اللقاء يقول حرفيا: "أبشر المواطنين في تلك المنطقة أننا عقدنا في صباح اليوم اجتماعا لمناقشة الموضوع وخرجنا بتوافق أنه يجب أن يكون هنالك سعي حثيث وإجراءات حازمة لمنع التعدي على الأراضي الحكومية...". تتجاهل المذيعة مجددا سؤاله عن البشرى التي عرضها على السكان وكيف سيتم التعامل مع ما يقارب من ٤٠٠ منزل تصنف على أن فيها تعديا على الأراضي الحكومية ومهددة بالهدم؟ لا سؤال أيضا عن أية سلطة أو سيادة في ظل الحصار!

أما في الموضوع المتعلق بالإهمال الرسمي لمدينة يطا، فقد جاء التقرير كالتالي: "يشكو سكان مدينة يطا من إهمال السلطات المعنية بالمدينة وهم يطالبون بتصنيف منطقتهم كمنطقة تطوير، نظرا لما فيها من كثافة سكانية عالية، في وقت يهدد الاحتلال الإسرائيلي بمصادرة المزيد من الأراضي المحيطة بالمدينة...".

لغرض المقارنة بين الخبرين، فإن خبر "يطا" قدّم من زاوية معاناة الناس ومطالبهم، لكن خبر هدم البيوت في غزة قُدم من وجهة نظر بلدية رفح وسلطة الأرضي هذا أولا، ثم في خبر الضفة ربط بين الإهمال ومطالبة السكان وبين تهديد الاحتلال بمصادرة الأراضي مما يعطي نتيجة مباشرة بالقياس بأن الإهمال الرسمي يساعد على تهويد الأرض، لكن في حالة هدم البيوت في رفح لا إشارة إلى الحصار الإسرائيلي وتأثير هدم المنازل على معاناة الناس وربطها بتثبيت السكان على أرضهم في ظل الحصار خصوصا أن مدينة رفح مدينة حدودية.

وبلغة تقنيات تحليل الخطاب، قامت القناة بتسطيح الجانب الإنساني في خبر هدم منازل في رفح مقابل إبراز الموقف الرسمي للحكومة المقالة في غزة، وعلى العكس من ذلك خبر الإهمال الرسمي في مدينة يطا، فقد قامت القناة بإبراز معاناة المواطنين وتعميق الحدث من جانب ارتباط الإهمال الرسمي بتهويد الأرض من قبل الاحتلال الإسرائيلي، فيما تم تسطيح وحجب هذه الجوانب تماما في خبر رفح.

وفي خبر آخر، وفي سياق تغطيتها لقضية اغتيال القيادي في حماس محمود المبحوح، عرضت قناة القدس على شريطها الإخباري بتاريخ ١٧-٥ نفي حركة حماس لخبر أوردته صحيفة الشرق الأوسط والذي مفاده بأن دبي بصدد استدعاء قياديين من حماس للتحقيق معهما بتهمة التورط في اغتيال المبحوح، لم تعطِ القناة أهمية لخبر الصحيفة، ولم تخصص لمناقشته أيا من برامجها، في مؤشر على تسطيح الخبر وحجبه، وقد

جاء الخبر على الشريط الإخباري على النحو التالي:" حماس تنفي ما أوردته صحيفة الشرق الأوسط بشأن اغتيال المبحوح وتقول أنه محض افتراء"[١٠].

من أبجديات العمل الصحفي في حالة الخبر السابق ذكر نص الخبر الأصلي من قبل الصحيفة ومن ثم ذكر نفي الخبر من قبل حركة حماس، لكن عدم ذكر الخبر من مصدره يعني أن القناة تلقائيا تتفق مع نفي الخبر وتعتبره محض افتراء كما ورد في تصريح حماس، ولا تبرير لحجب الخبر إلا اعتبار أن القناة تتفق على انه افتراء وأنها ليست بصدد نشر الافتراءات. ولغرض المقارنة، يورد الباحث خبر اعتذار القناة الثانية الإسرائيلية من أبناء الرئيس عباس عن اتهامات سابقة كالتهام القناة ضدهم حول امتلاكهم حصة في شركة الوطنية موبايل، وقد كان للخبر في حينه وقع سياسي كبير خصوصا سياق الحدث وتزامنه مع أزمة تقرير جولدستون[١١]، واعتبار أن تأجيل التصويت على التقرير جاء بصفقة اقتصادية مع السلطة ولفائدة أبناء الرئيس عباس.

لم تورد قناة القدس خبر اعتذار القناة الإسرائيلية الثانية بتاريخ ٢٠-٥-٢٠١٠ أو حتى كسب أبناء الرئيس للقضية التي رفعوها على القناة الإسرائيلية أمام المحكمة العليا الإسرائيلية والتي دفعت القناة للاعتذار، بالرغم من أن قناة القدس ذاتها كانت قد اهتمت بنشر الاتهامات التي أذاعتها القناة الإسرائيلية في حينه وسعت إلى إبرازها ضمن نشراتها الإخبارية، وقد نجحت في توظيفها جماهيريا وإدانة الرئيس عباس والسلطة الفلسطينية، واتهام القيادة الفلسطينية بتقديم تنازلات مقابل مكاسب شخصية.

١٠- انظر الشريط الإخباري لقناة القدس بتاريخ ١٧-٥-٢٠١٠.

١١- تقرير جولدستون، هو تقرير أممي أجراءه القاضي جولدستون وفريقه بتكليف من مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة للبحث في انتهاكات حقوق الإنسان بعد العدوان الإسرائيلي على غزة نهاية عام ٢٠٠٨ والذي أدان فيه كل من إسرائيل وحماس بارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان. وكان لأزمة تقرير جولدستون وقع كبير بعد قرار تأجيل التصويت على التقرير من قبل المجموعة العربية والإسلامية في مجلس حقوق الإنسان، وفي حينها أثير إعلاميا الربط بين قرار التأجيل وموافقة السلطة على ذلك مقابل منح إسرائيل لشركة الوطنية موبايل ترددات البث للعمل في الأراضي الفلسطينية.

من أبجديات الأخلاقيات الصحفية أنه في حال نشر معلومات تبين لاحقا أنها غير صحيحة، تقوم وسيلة الإعلام بنشر اعتذار وتصويب للمعلومات بنفس الأهمية والحيز الذي حصلت عليه عملية النشر الأولى، لكن ذلك لم يحصل في حالة تغطية قناة القدس للموضوع سابق الذكر، ولا بد من التساؤل هنا: لماذا لم تنشر قناة القدس خبر صحيفة الشرق الأوسط حول توجه دبي للتحقيق مع بعض قيادات حماس بتهمة اغتيال المبحوح فيما اكتفت القناة بنشر نفي حركة حماس للخبر، في الوقت الذي نشرت فيه خبر اتهام القناة الإسرائيلية لأبناء الرئيس عباس ولم تنشر اعتذار القناة عن عدم صحة الخبر؟

وعلى صعيد برامج القناة، فقد خصصت القناة حلقة برنامج "في البوصلة"[١٢]، بتاريخ ٢٤-٥ للحديث عن الانتخابات البلدية في الضفة الغربية، وقد استضافت الحلقة القيادي في حماس موسى أبو مرزوق للتعليق على الموضوع، والملاحظة الأولية على الحلقة أنها لم تتضمن من يمثل وجهة النظر الأخرى المقابلة لحماس. الملاحظة الأخرى هي على توجهات مقدم الحلقة "نزيه الأحدب"، فبينما كان أبو مرزوق يقدم مداخلته عن أسباب عدم مشاركة حركته في الانتخابات، يقاطعه المذيع قائلا: "أصلا لو جمعنا ما اعتقل من مناصريكم بحسب بياناتكم في الضفة ربما لا توجد الآن كوادر قادرة على تحريك العمل الانتخابي لصالح حماس في الضفة"، فيما يضيف أبو مرزوق على كلام المذيع قائلا: "ولا توجد أيضا حرية لحماس لتمارس أي نوع من الدعاية والاتصال بالجماهير..."!

من الواضح من مداخلة المذيع توجهاته الشخصية، فمداخلته وقوله بأنه لا يوجد عناصر من حماس تستطيع أن تقوم بالداعية الانتخابية لها في الضفة كانت بمثابة تدعيم موقف أبو مرزوق الذي لم يخطر بباله أن

١٢- أنظر برنامج في البوصلة على قناة القدس بتاريخ ٢٤-٥-٢٠١٠.

يتحدث عن هكذا استنتاج، فيما المذيع يساعده ويدعم مداخلته. وضمن الحلقة يسأل المذيع "الأحدب" ضيفه أبو مرزوق عن موقفه من هدم المنازل في رفح، ولكن بصيغة فيها نوع من المواربة فيقول: "كثيرون انتقدوا حرص حماس على تطبيق القانون"، فيجيب الضيف بأنه ليس مع هدم المنازل ويعتبر قرار البلدية خاطئا. تعكس صياغة السؤال السابق السياق الذي توضح فيه الأحداث، أي أن الانتقادات الموجهة لحماس لهدم المنازل في غزة هي اتهامات بسبب حرص حماس على تطبيق القانون، في تجاهل واضح للبعد الإنساني ومعاناة الناس الذين هدمت منازلهم، أي أن صيغة السؤال نقلت الحدث من سياقه الإنساني إلى سياقه القانوني. كما تجاهل مقدم البرنامج معارضة أبو مرزوق قرار هدم المنازل وأهمية مثل هكذا تصريح، ولم تورد القناة موقف أبو مرزوق على شريطها الإخباري. والملاحظة الأخرى أن الضيف أبو مرزوق قلل من قضية هدم المنازل بالقول إن ما هدم فقط منزلان، رغم أن وسائل الإعلام و التقارير التلفزيونية أشارت إلى أن الهدم طال ما يزيد عن ٢٠ منزلا، فيما ما يقارب من ٤٠٠ منزل مهددة بالهدم، لكن مقدم البرنامج يختار الصمت ولا يصحح كلام الضيف.

أما برنامج "نبض الشارع" على قناة القدس بتاريخ ٢٣-٥ فقد جاء تحت عنوان "القدس بين السلطة واليونسكو"، وذلك للاستماع لآراء المشاهدين حول تأجيل مندوب السلطة الوطنية استصدار قرار من اليونسكو حول الانتهاكات الإسرائيلية في القدس، بحيث أتاح مقدم البرنامج "علاء الصالح" للمتصلين موجة مفتوحة لانتقاد السلطة وشتمها دون مقاطعة، فقد أتاح لأحد المتصلين ما يزيد عن ٤ دقائق للكلام على الهواء، وهذا وقت قياسي مقارنة ببرنامج مفتوح. وللمقارنة، لم تخصص قناة القدس برنامج "نبض الشارع" للحديث عن هدم الحكومة المقالة لمنازل المواطنين في رفح أو التوقف عند موقف القيادي في حماس أبو

مرزوق الرافض لقرار الهدم، والسؤال المطروح مجددا: من الذي يحدد القضايا التي تستحق أن تكون نبض الشارع والقضايا التي لا تستحق؟

خاتمة

جاءت هذه الدراسة بافتراض أن قناة القدس تلعب دورا في تغذية الانقسام الفلسطيني الداخلي، وقد اتضح صدق الفرضية من خلال تحليل عينة دراسية لتغطية القناة للحدث الفلسطيني ومقارنة تغطية القناة لأحداث في الضفة الغربية مع تغطيتها لأحداث مشابهة في غزة. وقد تبين من خلال عملية التحليل قدرة القناة على توظيف تقنيات الخطاب من إبراز وحجب وتسطيح وتعميق للأحداث بما يتناسب والسياق الذي ترغب القناة بتقديم الأحداث من خلاله.

وعلى سبيل الاستخلاص، كان من الواضح سعي قناة القدس لإبراز الأخبار المتعلقة بالاعتقال السياسي في الضفة في مقابل حجب الأخبار المتعلقة بالاعتقال السياسي في غزة، كما تسعى القناة لتسطيح أخبار متعلقة بهدم الحكومة المقالة في غزة لعشرات منازل المواطنين في غزة وتنسب ذلك لتطبيق القانون، فيما تتحدث عن إهمال السلطة لمدينة يطا.

وكان ضمن عينة الدراسة أيضا سعي القناة لحجب خبر أوردته صحيفة الشرق الأوسط حول نية حكومة دبي التحقيق مع بعض قيادات حماس في قضية اغتيال المبحوح واكتفت القناة بإيراد نفي حركة حماس لصحة

الخبر، وعند مقارنة الخبر السابق بخبر مشابه نشرته القناة نقلا التلفزيون الإسرائيلي لاتهامات لأبناء الرئيس عباس بامتلاك حصة في شركة الوطنية موبايل يتبين أن القناة سعت لإبراز الخبر بصيغته الأولى، في مقابل حجب خبر اعتذار القناة الإسرائيلية ذاتها بعد قرار قضائي إسرائيلي بعدم صحة ما نشر، وبذلك تكون القناة وقعت في إشكال مهني فتح الباب واسعا أمام السؤال عن المعايير التي تحكم عمل القناة في نشر أخبار على حساب حجب أخبار أخرى.

يصعب في نهاية الدراسة تقديم توصيات لقناة القدس من قبيل مطالبتها بانتهاج سياسية أكثر اقترابا من الموضوعية، وربما يكون ذلك من قصور الرؤية أن تقدم الدراسة مثل هذه التوصيات؛ نظرا لأن قناة القدس تسير في سياسة معينه تحكمها عدة متغيرات، منها: الجهات الممولة و الانتماء السياسي والأيديولوجي، وبالتالي فإن سياسة القناة محكومة بطبيعة العلاقات القائمة داخل البنية الناظمة لعلاقة المتغيرات السابقة– التمويل والانتماء السياسي والأيديولوجي، التي ينتج خلالها خطاب القناة.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو الرب، محمد.(٢٠١٠). **الجزيرة وقطر: خطابات السياسية وسياسات الخطاب**. القدس: دار أبو غوش للنشر والتوزيع.
- براون، ج.ب. و ج. يول.(١٩٩٧). **تحليل الخطاب**. ترجمة وتقديم: محمد الزليطني ومنير التريكي. الرياض: جامعة الملك سعود.

- بورديو، بيير(٢٠٠٤). **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول**. ترجمة: درويش الحلوجي، ط١. دمشق: دار كنعان
- بني عودة، غازي وزياد عثمان. (٢٠٠٨). **الإعلام الألعوبة والخطاب الدموي في فلسطين**. رام الله: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان.
- **التغطية الإعلامية لما بعد سيطرة حماس على غزة في تلفزيون فلسطين وفضائية الأقصى**".(٢٠٠٨). وحدة الرصد الإعلامي في مؤسسة مفتاح– رام الله
- الشرفا، وليد.(٢٠١٠). **دوائر الإقناع في خطاب حماس**. رام الله: معهد العالم العربي للدراسات والبحوث المسحية" أوراد".

مصادر أخرى

- فضائية القدس
- صحيفة العرب القطرية :٩ –١١–٢٠٠٨
- http://www.qudstv.com
- http://www.alzaytouna.net
- http://www.paldf.net
- http://arabic.pnn.ps